المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 23-09-2005
الصفحـات : 26
العـــدد : 15493
المسلسل : 124

من عبدالعزيز الى عبدالله
ملحمة توحيد وسيرة وطن

المؤسس انتهج سياسة الباب المفتوح وانتصر للمواطن البسيط

الإجماع الشعبي على قيادة الملك عبد الله يجسد ريادة الوطن

تحرير
عبدالله العبدلي

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 23-09-2005 العـــدد : 15493
الصفحـات : 26 المسلسل : 124

عندما تنادى الناس في الرياض في صبيحة اليوم الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ " أن الملك لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود "، أدرك التاريخ أن ثمة مرحلة جديدة على وشك أن تبدأ وقائعها. مسرحها الجزيرة العربية، وبطلها سليل أسرة ضاربة جذورها في أعماق هذه الأرض اسمه عبدالعزيز.

وكان النداء إيذاناً ليفتح التاريخ صفحاته ليدون عليها عبدالعزيز ملاحم المجد وسيرة الكفاح والبطولات، ترفرف فوق هامته راية التوحيد، وزاده عقيدة صافية وهدفه إعادة تأسيس الدولة السعودية لتكون ملاذاً آمنا لرعاية حقوق الناس وحصناً مكيناً لتطبيق شرع الله.

ورغم جسامة التحديات وصعوبة المنعطفات، استطاع الملك عبدالعزيز بتوفيق من الله عز وجل من تحقيق مرامه مستعيناً على ذلك بشخصية توافرت فيها عوامل الخبرة والنبوغ والوعي بالتاريخ، وصفات حميدة أخرى جعلت الوفود تترى على الرياض مبايعة ومؤيدة لقناعتها بأهداف عبدالعزيز الخيرة ومبادئه السامية وكان أن انتهج عبدالعزيز بداية سياسة السلم والمفاوضة لإقناع المناوئين بالدخول تحت لواء الدولة الوليدة، إلا أن مكابرة البعض حفاظاً على مصالحهم الذاتية دفعت الملك عبدالعزيز إلى خوض العديد من المعارك العسكرية والسياسية على مدى أكثر من ثلاثين عاماً لتحقيق غاية توحيد البلاد على أسس راسخة قوامها تطبيق أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتوجت مجاهدات الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء بإعلان توحيد البلاد وتسميتها المملكة العربية السعودية في ١٣٥١/٥/١٧هـ الموافق التاسع عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٣٢م.

مرحلة البناء

رغم أن الملك عبدالعزيز كان قد بدأ مسيرة بناء الدولة جنباً إلى جنب مع معارك ارساء أسس التوحيد، إلا أن الانطلاقة الفعلية لعملية البناء تؤرخ بعد انتهاء مرحلة التوحيد وتحقيق مرام الموحد في إنشاء دولة موحدة فتية قادرة على البقاء ومقاومة التحديات.

وتفتقت ذهنية الملك عبدالعزيز عن مبادرات رائدة لإرساء دعائم الدولة الوليدة إدارياً وحضارياً من خلال تأسيس الإدارات والمؤسسات وبعض الوزارات وإصدار النظم الكفيلة بتسيير شؤون البلاد والعباد.

ومن دلائل الحنكة الإدارية للملك عبدالعزيز، أنه وبعد الفراغ من مرحلة توحيد البلاد، تبنى مشروعاً عظيماً للتحول الاجتماعي تمثل في توطين البادية، ورغم قساوة الظروف ومحدودية الإمكانات - وقتها- نجح المشروع نجاحاً منقطع النظير ليشكل أساس النقلة الحضارية في حياة العديد من سكان هذه البلاد التي كان طابع البداوة يسود غالبيتهم.

أولى الملك عبدالعزيز اهتماماً مقدراً للتعليم، فكان نتاج ذلك أن انتشرت المدارس النظامية والإدارات المتخصصة لمتابعة تعليم المواطنين وتعد تلك المدارس النواة النظامية الأولى للتعليم في المملكة الذي وصل الآن إلى شأو بعيد لجهة انتشار مؤسسات التعليم العام والعالي، وزيادة مخرجاتها ممن يقودون اليوم خطى التنمية بالبلاد في كافة المجالات.

ولأن في المملكة قبلة المسلمين ومهوى افئدتهم بيت الله الحرام، واستشعاراً لعظم المسؤولية تجاه حجاج بيت الله الحرام، جعل الملك عبدالعزيز خدمة الحجيج في مقدمة اهتماماته حتى يؤدوا مناسكهم براحة واطمئنان، فأمن طرق الحج ووفر مياه الشرب والمساكن للحجاج وعمل على توسعة الحرمين وتزويدهما بمظلات واقية من الشمس لراحة ضيوف الرحمن.

ومن دلائل عمق اهتمامه بمواطنيه، كان الملك عبدالعزيز يشدد على المسؤولين الحرص على رعاية مصالح الناس، ولعل في رسالته لأحد هؤلاء المسؤولين أبلغ تأكيد على ذلك حيث يقول:

"أذا أطلعنا ولو بعد حين أن أحداً مظلوم وجاري عليه شئ يغضب الله ويضر المواطن ولا يبين لنا. فيكون جميع أعيانكم والرؤساء منكم مسؤولين عنهم وعليهم اللوم والعتاب إذا لم يبينوا للهيئة ما هو واقع على الرعية وسنجازيهم بالجزاء اللازم".

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 23-09-2005 العـــدد : 15493
الصفحـات : 26 المسلسل : 124

هكذا كان هو منهج الملك عبدالعزيز في رعاية شؤون مواطنيه والحفاظ على حقوقهم ليس هذا فحسب، بل كان بابه مفتوحاً لاستقبال الناس ليبثوا شكواهم وتظلماتهم ليبت فيها -يرحمه الله- بالعدل فكان بذلك أول حاكم في التاريخ المعاصر ينتهج سياسة الباب المفتوح، ليسير على نهجها أبناؤه من بعده، حتى أصبحت منهاجاً يميز تفرد الحكم في المملكة ويؤكد متانة الوشائج التي تربط حكام المملكة بأبناء شعبهم.

حنكة في السياسة الخارجية

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية، أظهر الملك عبدالعزيز حنكة وتمرساً فاق معاصريه من الساسة المتمرسين في دروب السياسة والدبلوماسية، فقد استطاع بسياسته المتزنة وببراعته في المفاوضات فضلاً عن وضوح مبادئه، أن يحقق لبلاده الكثير من المصالح واستطاع كذلك أن يتجاوز ببلاده وشعبه العديد من الازمات الدولية -ومنها الحربان العالميتان الأولى والثانية- دون ضرر أو أذى.

وفي عهده شقت المملكة طريقها بقوة وثبات لتتبوأ موقعها في المنظمات الدولية- الأمم المتحدة- والإقليمية- الجامعة العربية- وبعد وفاته في ١٣٧٣/٣/٢هـ، ترك عبدالعزيز المملكة، كياناً شامخاً، ودولة وحدت طريقها إلى التطور والسير في ركاب الحضارة حين رسم الملك عبدالعزيز المنهج الذي سار عليه من بعده أبناؤه البررة في استمرارية لم تعرف الانقطاع منذ عهد الملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد -يرحمهم الله جميعاً- وصولاً إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -يحفظه الله-.

التمسك بالدين جوهر الاستمرارية

ان جوهر هذه الدولة كان وسيظل -إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها- هو التمسك بالدين الحنيف قولاً واعمالاً في جميع مناحي الحياة، فمنذ أن أسس الملك عبدالعزيز هذا الكيان على راية التوحيد، لم يحد قادة هذه البلاد المتعاقبين من آل سعود عن الطريق، ولم يتبنوا أيدلوجيات غير الإسلام، وتنالت في عهودهم الزاهرة الإنجازات التنموية والحضارية، واتسعت مظلات التعليم والرفاهية ليستظل أبناء هذا الوطن بظلها وكل ذلك تحت راية المبدأ الرئيس الذي رفع رايته الملك المؤسس، مبدأ التمسك بالشريعة الإسلامية الغراء مهما تزايدت المحن وتعاظمت التحديات واشتدت تيارات الجذب في الاتجاه المعاكس لجهة القبلة

كرس أبناء الملك عبدالعزيز -رحمه الله-

هذا المبدأ، مما حصن بلادنا ضد مخاطر النظريات السياسية التي عصفت بالدول واورقت العديد منها الانقسام والتشرذم وسيظل التمسك بهذا المبدأ، ضامناً لا يعتريه الضعف لديمومة وحدة هذه البلاد، واستمرار سيرها في مدارج التطور والتقدم والحداثة التي تأخذ بمعطيات العصر دون تفريط في أصول الدين ومبادئه القيمة.

إن ملحمة التوحيد وما تلاها من إنجازات حضارية غير مسبوقة على صعيد الإنسان والأرض في المملكة يرشحها لأن تكون أنجح تجربة وحدوية في التاريخ المعاصر لأنها تحمل في طياتها عوامل الاستمرارية والقدرة على مقاومة أية محاولة تهدف إلى النيل منها.

وتترسخ التجربة الوحدوية في المملكة يوماً بعد آخر، في ظل الوعي المتنامي بالوطنية. وفي ظل ازدياد تماسك وقوة اللحمة الوطنية لأبناء الشعب السعودي، وفي ظل تلاحمهم مع قيادتهم في ولاء قل أن يجود الزمن بمثله.

عهد جديد في مسيرة التوحيد

وتأتي ذكرى اليوم الوطني هذا العام، متزامنة مع تولي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز مقاليد الحكم، إيذاناً ببدء عهد جديد يتواصل مع ما سبقه من عهود زاهرة، ويضيف إليها إضافات نوعية مقدرة لتعزيز الانتماء إلى الوطن الواحد الموحد في نفوس جميع أبناء هذه البلاد، يتولى الملك عبدالله زمام الأمور في مرحلة حبلى وواعدة بالمزيد من الإنجازات لتقوية النسيج الوطني ورفده بالكثير من عوامل التماسك والالتفاف حول قيادته التي لا تألو جهداً في سبيل الارتقاء بانسان هذا الوطن ليتبوأ أعلى المراتب.

وجاءت مظاهر الإجماع الشعبي العارم في بيعة الملك عبدالله، لتعكس بجلاء متانة الأسس التي أرساها الملك المؤسس لوحدة هذه البلاد إنساناً وأرضاً، وكانت بمثابة حجر ألقمه الشعب الوفي لأبواق الإعلام المغرض التي ملأت الأثير بضجيجها الفارغ عند رحيل الملك حول خلافات -لا توجد إلا في مخيلتها المريضة- قد تؤدي إلى انفراط عقد وحدة المملكة وتشتيت كيانها!!

وكان الرد العملي للشعب السعودي على هذه التخرصات الشائهة، أن ازداد تماسكاً وصلابة والتفافاً حول قيادته الوفية، قاطعاً العهد على العض بالنواجذ على تلاحم النسيج الوطني والسير قدماً خلف قيادته إلى مراقي التطور والازدهار في ظل وطن قوي ينعم بالوحدة والاستقرار وينأى عن التشرذم والتشتت.